

# خشبة الصليب

الشماس ألن اوشانه هرmez

## 1. خشبة الصليب في الحضارات القديمة والعهد القديم

قبل ان ندخل في موضوع رمز الصليب في الحضارات القديمة والعهد القديم، نود في البداية ان نعرف ماهية مادة الصليب ومن ماذا يتكون الصليب: ان الصليب مكون من خشبتين، الواحدة عمودية والثانية افقية، فالخشبة العمودية كانت تنصب في الارض في مكان الصلب، اما الافقية فكان يحملها المحكوم عليه الى مكان الصلب، فحيث ان العمودية كانت تجتاز برأسها العارضة الافقية بعلامة (+) حتى يسهل وضع اللافتة التي تحمل إعلان علة الصلب، فيتمكن الناس من قراءتها<sup>1</sup>. وهذا كما جاء في (يوحنا 19: 19-20) " وكتب بيبلاطس عنواناً ووضع على الصليب، وكان المكتوب فيه: يسوع الناصري ملك اليهود. وهذا العنوان قرأه كثير من اليهود".

اما بخصوص رمز الصليب فنجد الرمز او شكل الصليب في صور عديدة من الحضارات القديمة التي بعضاً منها استعملته كأداة تعذيب، والبعض الاخر استعملته كرموز زمنية علمية. لقد اتت فكرة عملية الصلب من بلاد فارس وبعد ذلك اليونان الذين عرفوا الصلب ومارسوه كعقاب لجرم ضد الدولة، ومن ثم صار العقاب للعبيد وللصوص المسلحين، بينما عند

<sup>1</sup> يعقوب سعاده (الأب)، الجواب من الكتاب، الطبعة الاولى، منشورات المكتبة البولسية، بيروت 1995، ص 69.

الرومان كان الصليب اكثر قساوة وعاراً يقسو على العبيد وعلى الاحرار الذين لم يكونوا مواطنين رومانيين، عقاباً على القتل والسرقه والخيانة والتمرد<sup>2</sup>.

وايضا من الحضارات التي استعملت الصليب كرموز زمنية، هم المصريون والصينيون القدماء قبل ميلاد المسيح بأكثر من 1500 سنة، حيث استخدموا رمز الصليب للاتجاهات الاربعه كونه الاشمل والاكمل بين الرموز، وأستعمل ايضاً كأداة الرمز الوسيط للالتقاء السماء والارض، والزمان والمدى الكوني، وفي الاساطير الشرقية القديمة كان يرمز الى الجسر او السلم الذي تصعد عليه الانفس نحو الخالق<sup>3</sup>.

اما في العهد القديم فيشير الصليب عن اداة تعذيب بشكل وتد كانوا يضعونه على المحكومين عليهم بالموت ويرفعونهم<sup>4</sup>، ايضاً كانت تعلق الجثة في شجرة مع ما في هذا العذاب عار<sup>5</sup>.

ولا ننسى بالأخص عند اليهود فقد كانوا يعتبرونه اداة عار ونجاسة، لكونه وسيلة العقاب على جريمة مرتكبة، وايضا لمس جسم الانسان الذي علق عليه ومات، فبعد انزال الجثث كانوا يرمون الصليبان في حفرة ويغطوها بالتراب لكي يبعدها عن انظار الناس<sup>6</sup>.

## 1.1 خشبة الصليب في العهد الجديد

ان الرب يسوع المسيح اعطى لنا صورة جديدة عن الصليب، حيث نقرأ في عدة اماكن من العهد الجديد « ثم قال يسوع لتلاميذه: من أراد ان

<sup>2</sup> بولس الفغالي (د. الخوري)، "المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم"، طبعة اولى، المكتبة البولسية، بيروت 2003، ص758 - ص759.

<sup>3</sup> الخوري ناصر الجميل، الرموز المسيحية، بيروت 2008، (رقم 6) ص22.

<sup>4</sup> تكوين 40: 19.

<sup>5</sup> تثنية الاشرع 21: 22.

<sup>6</sup> يعقوب سعاده (الأب)، الجواب من الكتاب، الطبعة الاولى، منشورات المكتبة البولسية، بيروت 1995، ص216.

يتبعني، فليزهد في نفسه ويحمل صليبه ويتبعني<sup>7</sup>». تبين لنا هذه الآية ان منذ اختيار يسوع لتلاميذه كان قد وضع على اكتافهم الصليب وكيف عليهم ان يعيشوه في كل خطوة سواء مع الرب يسوع او بعد صعوده الى السماء. وكان الجمع الذي كان يتبعه ويسمع احاديثه الفريدة وكرازاته آمنوا به عندما كان عندهم فحملوا صليبههم وغدوا معه، وحيث تقول الآية « ومن لم يحمل صليبه ويتبعني، لا يستطيع ان يكون لي تلميذاً<sup>8</sup>»، نحن تلاميذ المسيح السامعين له ومؤمنين بكلمته التي فيها الحياة الابدية، وايضا حاملين صليبنا الذي يمثل اثقالنا واحمالنا وهمومنا الحياتية، فيأخذ عنا اسقامنا ويحمل امراضنا كما جاء بلسان النبي اشعيا « لقد حمل هو الأمانة واحتمل اوجاعنا فحسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلاً<sup>9</sup>». فالمسيح حمل كل اوجاعنا والأمانة على صليبه ليعطي لنا نعمة الحياة المتجددة به فهو موضع افتخارنا وفرحنا، وكما يقول (الرسول بولس في رسالته الى اهل غلاطية 6: 11 : أما أنا فمعاذ الله ان افتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح! وفيه أصبح العالم مصلوباً عندي، وأصبحت أنا مصلوباً عند العالم).

فمنذ صلب يسوع المسيح صار الصليب صورة للحياة المسيحية الموافقة لحياة يسوع، فقد أصبح صليب المسيح علامة فداء للبشر الذي تحمّل العذاب والاهانة والعار من اجل العالم<sup>10</sup>. «فوضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب»<sup>11</sup>. بالصليب صار يسوع لعنة من اجلنا كما يذكر في (رسالة الى اهل غلاطية 3: 13: ان المسيح افتدانا من لعنة الشريعة إذ صار لعنة لاجلنا، فقد ورد في الكتاب: ملعون من علق على الخشبة).

ان البشارة بالصليب هي قدرة الله « فإن لغة الصليب حماقة عند الذين يسلكون سبيل الهلاك، وأما عند الذين يسلكون سبيل الخلاص، أي عندنا،

<sup>7</sup> متى: 16: 24.

<sup>8</sup> لوقا: 14: 27.

<sup>9</sup> أشعيا 53: 4.

<sup>10</sup> بولس الفغالي (د. الخوري)، "المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم"، طبعة اولى، المكتبة البولسية، بيروت

2003، ص760.

<sup>11</sup> فيلبي 2: 8.

فهي قدرة الله»<sup>12</sup>. ولهذا فإن رمز الصليب لنا نحن المخلصين بدمه هو رمز الفداء والخلص وان نكون ملتزمون على خطى الرب يسوع المسيح، فحينما نحمل الصليب معه، فهذا يعني اننا نشاركه في آلامه وموته وقيامته ونؤمن بنعمة بالحياة الأبدية في ملكوته. وهذا ما قاله للذي كان مصلوباً على يمينه «ثم قال: أذكرني يا يسوع اذا ما جئت في ملكوتك. فقال له: الحق اقول لك: ستكون اليوم معي في الفردوس»<sup>13</sup>،

ان المسيح قاسى كثيراً عندما قبض عليه فتم الحكم عليه بأقصى عقوبة إلا وهي الصليب، وقد رفع على الصليب وتحمل كل الأمانة، «طُعن بسبب معاصينا وسحق بسبب آثامنا نزل به العقاب من اجل سلامنا وبجرحه شفينا»<sup>14</sup>. وقد فقد المسيح حريته ليكون لنا قدوة في تسليم الإرادة الكاملة للأب والطاعة الكاملة لإرادة الله، وفي احتمال الاهانة والهزء والعار قدم لنا الاتضاع والصبر والوداعة<sup>15</sup>، توج رأس يسوع بالشوك «فخرج يسوع وعليه أكليل الشوك والرداء الارجواني، فقال لهم بيلاطس: ها هوذا الرجل!»<sup>16</sup>.

نرى في بعض الآيات من العهد الجديد كيف ان المسيح صار عرضة للشتم والسخرية على خشبة الصليب : «ويقولون: يا أيها الذي ينقض الهيكل ويبنيه في ثلاثة ايام، خلص نفسك ان كنت ابن الله، فأنزل عن الصليب»<sup>17</sup>، «خلص غيره، ولا يقدر ان يخلص نفسه! هو ملك اسرائيل، فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به»<sup>18</sup>، «اتكل على الله، فلينقذه الآن، ان كان راضياً عنه، فقد قال: انا ابن الله»<sup>19</sup>، نفهم من هذه الآيات كيف ان إبليس يرجع مرة اخرى ليجرب يسوع المسيح كناسوت وهو على الصليب وفي قمة آلامه،

<sup>12</sup> 1 قورنثس 1: 18.

<sup>13</sup> لوقا 23: 42-43.

<sup>14</sup> اشعيا 53: 5.

<sup>15</sup> عزت زكي (الدكتور)، أدخل مخدعك، مطبعة الخلاص، لجنة خلاص النفوس للنشر، 1973، ص114.

<sup>16</sup> يوحنا 19: 5.

<sup>17</sup> متى 27: 40

<sup>18</sup> متى 27: 42.

<sup>19</sup> متى 27: 43.

ولكن وبالرغم من كل ما يمر يسوع المسيح به فهو يركز من جديد وهو متألم  
«يا أبت اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ما يفعلون»<sup>20</sup>.

ويسوع على الصليب يتألم فيقول «ألوي ألوي، لما شبقتاني؟ أي إلهي  
إلهي لماذا تركتني»<sup>21</sup>، فالصرخة تعبر عن الشدة، وهي موجهة الى الله  
وتستشهد بالكتب المقدسة<sup>22</sup>. ونقرأ ايضا من الكتاب المقدس بأن يسوع قد  
عطش «وبعد ذلك، كان يسوع يعلم ان كل شيء قد انتهى، فلما يتم الكتاب  
قال: انا عطشان»<sup>23</sup>. ان كل ما تتبأ به في العهد القديم عن يسوع قد أكمل  
«فلما تناول يسوع الخل قال: تم كل شيء ثم حنى رأسه واسلم الروح»<sup>24</sup>.  
وفي الالفاظ الاخيرة التي نطق بها يسوع وهو على خشبة الصليب «فصاح  
يسوع بأعلى صوته قال: يا أبت، في يديك اجعل روحي! قال هذا ولفظ  
الروح»<sup>25</sup>. نتعلم من يسوع المسيح ان ارواحنا وديعة في ايدينا، يطلبها منا  
الآب متى شاء، وعلينا بروح التسليم والطاعة ان نقدمها له عندما يطلبها<sup>26</sup>.

لقد بلغ القصاص غايته على الصليب بيسوع المسيح، فصار صليب العار  
والاستهزاء والشم الى صليب فداءً واقتناءً ورجاءً ومحبة لنا، وأصبح علامة  
على ان المؤمنين صاروا ابناء الله بالتبني.

## 1.2 اكتشاف خشبة الصليب

وردت في قصص الشعبية القديمة ثلاثة تقاليد عن اكتشاف خشبة  
الصليب المقدس، حيث يذكر القديس يوحنا الذهبي الفم في خطبته التي

<sup>20</sup> لوقا 23: 34.

<sup>21</sup> مرقس 15: 34.

<sup>22</sup> متى 27: هامش (27) الكتاب المقدس، الرهبانية اليسوعية، الطبعة الثامنة، 2012، ص116.

<sup>23</sup> يوحنا 19: 28.

<sup>24</sup> يوحنا 19: 30.

<sup>25</sup> لوقا 23: 46.

<sup>26</sup> عزت زكي (الدكتور)، أدخل مخدعك، مطبعة الخلاص، لجنة خلاص النفوس للنشر، 1973، ص121.

القاها بين سنة (390-396) بخصوص الصلبان الثلاثة، حيث يذكر: ان الفرق بين الصليب الصحيح والصلبيين الاخرين كان واضحا من اللوحة التي كتبت بأمر بيلاطس والتي بقيت معلقة عليه. فهنا نود ان نذكر التقاليد الثلاثة عن قصة اكتشاف خشبة الصليب المقدس وبالأخص التي سجلها موسى بركيفا اسقف الموصل (813-903) في خطبته عن الصليب المقدس<sup>27</sup>.

## 1.2.2 التقليد الاول

قصة الملكة بروطونيكة: ان هذه القصة يعود اصلها الى الرها من القرن الخامس(?)، وتظهر في كتاب سرياني يسمى "تعليم ادى" بعد صعود ربنا يسوع المسيح، وفي ايام حكم الامبراطور طيبروس (14-34 م) عندما كان يعقوب اخ الرب اسقفا في اورشليم، اتت الملكة بروطونيكة زوجة قلوديوس (41-54 م) الى الاماكن المقدسة، وطلبت من اليهود الذين تملكو مناطق الجلجلة ان يأذنوا لها بالبحث عن خشبة الصليب، وحين دخلت المكان الذي دفن الصليب ماتت ابنتها في هذا المكان ودفنت في الموضع نفسه. ثم بعد ان تم اكتشاف الصليب قامت بقوته، فسلمت بروطونيكة خشبة الصليب الى يعقوب اسقف المدينة، وبنى كنيسة له في المكان الذي اكتشف فيه<sup>28</sup>.

## 2.2.2 التقليد الثاني

قصة القديسة هيلانة: والدة الملك قسطنطين الاول الكبير، التي اتت الى الديار المقدسة في القرن الرابع، بعد انتصار قسطنطين سنة 313، للبحث عن الصليب المقدس في اورشليم، وبعد ان سعت مبتغاها استدلت موضع القبر الجليل، توفقت الى اكتشافه مدفونا بالقرب من الجلجلة بين ثلاثة صلبان، وتحقق مكاريوس اسقف اورشليم، صحة عود الصليب المقدس بقيامة ميت وُضع عليه<sup>29</sup>.

<sup>27</sup> منصور المخلصي (الاب)، روعة الاعياد، مطبعة المشرق، 1998، ص251-253.

<sup>28</sup> منصور المخلصي (الاب)، روعة الاعياد، مطبعة المشرق، 1998، ص253.

<sup>29</sup> منصور المخلصي (الاب)، روعة الاعياد، مطبعة المشرق، 1998، ص253.

## 3.2.2 التقليد الثالث

قصة قرياقوس: يحكى بأنه في زمان طريانوس (98-117 م) دفن الصليب من جديد، وذلك الى زمان قرياقوس وهو رجل يهودي من سكان مدينة اورشليم واسمه الاصيلي يهوذا، وكان يعرف المكان الذي دفن فيه الصليب وذلك من فم اجداده، وكان قد رفض من قبل ان يساعد على اكتشاف الصليب، بعد ارتفاع الصليب اصبح مسيحيا وفي العماد اخذ اسم قرياقوس، ثم اصبح اسقفا لأورشليم، واستشهد في عهد ولاية يوليانوس (361-363)<sup>30</sup>.

## 3. مفهوم الصليب في التقليد المسيحي

جاء في التقليد المسيحي أن رمز الصليب هو رمز المسيح، وهو رمز لموته ولعذابه ولذبيحته لخلاص كل انسان. وهو رمز لأسمى معاني الحب والوفاء والبذل والعطاء. فالصليب لا يرمز الى آلة الموت التي صلب عليها يسوع المسيح وحسب بل الى قيامته والى الوعد بالخلاص لجميع المؤمنين. يشكل الصليب عنصراً هاماً في الليتورجيا والفن الكنسي، حيث يتقدم التطوافات ويرتكز فوق المرتفعات والجبال وفوق مذابح الكنائس، وعلى صدور المؤمنين أو في اعناقهم أو في بيوتهم، واليوم في كثير من سياراتهم طلباً للحماية من الشر. فالصليب يربط المؤمن بالمسيح ويترد عنه كل سلبية. فهو يرمز الى تقاطع البعدين: العمودي والافقي ويصور امكانية التقارب واللقاء والمصالحة. فالشكل العمودي يشير الى علاقة الله بالإنسان والإنسان بالله، اما الافقي فيدل الى علاقة الانسان بأخيه الانسان، والعلاقتان مجتمعتان معاً تشكلان علامة الصليب وتمران بواسطته<sup>31</sup>.

<sup>30</sup> منصور المخلصي (الاب)، روعة الاعياد، مطبعة المشرق، 1998، ص253.  
<sup>31</sup> الخوري ناصر الجميل، الرموز المسيحية، بيروت 2008، (رقم 6) ص22-23.

لقد رأى المسيحيون في الصليب علامة الخلاص واداة الفداء وبرهاناً على المحبة العظيمة التي دفعت المسيح الفادي الى بذل ذاته. لهذا فقد قدموا لهذه العلامة المقدسة الإكرام الواجب لها، ورسموها على نواتهم ومثلوها في رسومهم وفنونهم، وصوروها في صلبان يكرمونها في منازلهم. حيث قام الكتبة المسيحيون للدفاع عن قدسية هذه العلامة ضد الوثنيين الساخرين القائلين ان المسيحيين يعبدون خشبة، فقام ترتليانوس في مطلع القرن الثالث، ووضح الامور، وبين ان المسيحيين لا يعبدون الخشبة بذاتها، بل يكرمون خشبة الصليب كرمز للفداء، وحث المسيحيين على الالتزام بهذا الاكرام<sup>32</sup>.

ودخل رمز الصليب في الكثير من العادات والتقاليد المسيحية، فمثلاً عند تحضير عجين الخبز يرسم فوقه بأصبعين علامة الصليب، وايضاً عند رؤية الصليب من مسافة بعيدة في الاماكن التي تتواجد فيها الدير والكنائس نرسم اشارة الصليب على وجوهنا معلنين برسمه اعترافاً حقيقياً بالرمز والكلمة بالثالوث الاقدس، ولا يكفي ان نزيد بعض الامثلة الرائعة عن الصليب، فقبل كل شيء نرسم علامة الصليب ونبدأ بالصلاة في لحظة استيقاظنا من النوم وذلك للتعبير عن الشكر للرب الذي باركنا بنعمته في قضاء الليل ونحن نيام وايضاً ليكون معنا في بدء اليوم الجديد في العمل او المدرسة وباركنا ليحمينا من اي شر. وايضاً قبل البدء بالأكل نبدأ بتلاوة صلاة الشكر للرب وذلك برسم اشارة الصليب علينا وبعد الانتهاء ايضاً نختم بإشارة الصليب وذلك على احلال النعمة الالهية.

<sup>32</sup> البير أبونا (الأب)، ومضات، رسالة الكلمة -1، منشورات رهبانية بنات مريم الكلدانيات، بغداد 2004.